



الأربعاء 1 يوليو 2026 01:00 م

كتب: أحمد عمر

أحمد عمر

كاتب سوري مقيم في ألمانيا

سنستعين بقصة مالك الحزين والثعلب لفهم حروب كرة القدم في الملاعب الخضراء وكرة القدم في عصرنا: عزّ وسؤدد تقول الحكاية إن ثعلبًا دعا مالك الحزين إلى طعام، فلجّاه، فقدم له الحساء في صحفة، فلم ينل الحزين بمنقاره شيئاً منه "إلا كما ينقُص المحيط إذا أُدْجِلَ في البُحْر". وردّ الحزين الدعوة، فقدم الطعام لضيفه الثعلب في إبريق طويل العنق، فلم ينل منه الثعلب شيئاً، وانتهت المباراة "بالتعادل الإيجابي"، هدف لكل منهما.

غير المعلق المصري الرياضي الطريف، على مباراة إيران مصر، نبرته، وكادت مصر أن تخسر، بعد أن أبطل الحكم هدف إيران، الذي تبين لكل ذي "فار: آلة إعادة الصورة" أنه هدف مختلس، تسلل، غير صحيح، فقال: إن مصر كانت دوماً رائدة!

لا يغرّبك التعليق يا مالك الحزين على كأس، فإنما هو كلام مثل كلام المذيع المصري أحمد سعيد الذي كان يسقط الطائرات ويهب الانتصارات للجيش المصري بلا حساب، فلم يسبق لمصر أن كانت رائدة في الكرة، اللهم إلا في الحرب الأهلية الكروية بين الأهلي والزمالك، ولن تريح أم الدنيا ولا أخواتها كأس العالم، حتى تصير أم الآخرة، وإن وصل فريق عربي إلى دور الـ16 فسنحتفل كثيراً، وسيستقبل الرئيس "أبطال الفريق" ويقلدهم الأوسمة، ويقلدونه الألقاب، ناسبين له الفضل في الفوز.

وكان المعلق السوري عدنان بوظو يحسن العزاء في هذه المصائب والنوازل، فيقول: نحن أيضاً نشارك في كأس العالم بحكمننا جمال الشريف.

يتبرص مشاهد سعودي بنتيجة مباراة السعودية أمام إسبانيا، متسلخاً بلينة، واللبنة هي للبناء، وليست للتخريب، وما إن تنتهي المباراة، بالخسارة التي تشبه التنكيل، حتى انهال بها على الشاشة "الذكية"، التي لم تستطع بذكائها النجاة من وقع القنا، وأثخنها جراحاً وحطمها تحطيمًا يقول المأثور: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يبنى باللينة بيتاً، ويحفظ الشاشة، فهي ليست إسبانية يا مالك الحزين.

هل سنبح يوماً كأس العالم لكرة القدم، أو نحصل على إحدى الجوائز الثلاث: الذهبية أو الفضية أو البرونزية؟

كأس العالم سوق كبيرة، كأنها أقيمت من أجل التجارة والإعلان والإعلانات التي نسميها "دعايات"، إنها عكاظ الغرب، فالهند والصين وإسرائيل لا تشارك في كأس العالم، وملكها الدائم هو جيانى إنفانتينو، وقد كسب كثيراً من المليارات، وليس له منافسون، مثل ملوك العرب.

لا تفتخر الأخبار عن الإعلان ساعة، بالكلمة والصورة المونديال سوق كبيرة يباع فيها الرقيق الأبيض؛ لاعبون، ونساء، وآلات، ومشروبات، خاصة بيبسي كولا، لعلنا أحببنا الكرة بسبب هذا المشروب السحري الذي كتبت غابريل غارسيا ماركيز مقالا أثبت فيه أنه سمّ.

سنقرأ عن ارتفاع سعر تذكرة الدخول إلى الملعب، وعن شكاوى الزوار، الذين ضربوا أكباد الطائرات من كل فج عميق شُعًا عُبرًا، من البقشيش الإجماعي في أمريكا سنقرأ عن مهارات الفريق الفرنسي، فهو يحسن اللعب بلاعبيه الفرنسيين البيض أو أبناء "أمهات الولد" السود يمكننا الحديث عن نزع الأقدام بعد أن كُتبت عن نزع العقول الغاية ليست اقتصادية وحسب، فهي روحية أيضًا، فالمونديال

هو صومعة العالم، وموسم الحج إليه كل أربع سنوات، كل أربع سنوات يغاث الناس مرة ويعصرون ٭ يُعصرون وليس يعصرون.

هو موسم عبادة خالصة للكرة، ليس برهاننا هو صلاة اللاعب النرويجي إيرلينغ هالاند، الذي خضع بعد هدفه في مباراة العراق بجلسة تشبه "اللوتس" المعروفة في اليوغا، أو "الزن" البوذية، ولا إلى قراءة أعضاء فريق الساجدين الفاتحة، ولا إلى شكر الهدف ربّه بالمشيرتين، فكل هدف يشكر ربّه في السماء، بلصلاة سريعة لا تؤذي جيانى إنفانتينو، أو سجدة شكر إن كان مسلماً، فهي إشارات دينية خفيفة، لا يحزّهما مجلس الإفشاء الأعلى في الفيفا، ولا إلى إسلام 400 إنسان على هامش اللعب، فالمعبد الأكبر هو الملعب، والديانات الأخرى ديانات هامشية، والأئمة الكبار هم النجوم الذين تنتظرهم الجماهير من أجل صورة أو توقيع يباهي الخلق ويبشر بها بالجنة ٭

بل إن لاعبين عرّبًا يفخرون باللعب مع ميسي أو لمسه أو التحرش به، نجم "الدب" الأكبر، أقصد نجم العالم الأكبر، الذي ألبسناه العبء العربية لحظة مقابل 250 مليار دولار، في مونديال قطر، كانت كافية لتحسين أوضاع العالم العربي كلها، أو كافية لتأهيل آلاف المهووبين إلى نجوم في الكرة والفيزياء والكيمياء والفلك والجراحة ٭ لكننا لا نحسن الجد ولا اللعب، فقد خرجنا من الدور الأول، يا يوم عمورية، مهوورين بأختام من الأهداف مذلة، على أعناقنا، تجللتنا عارًا مدة أربع سنوات على الأقل.

لكن لماذا نخسر، وقد انشغلنا دهرًا نكتب: لماذا تقدموا وتخلفنا؟ قد تساق أسباب سياسية، أو أسباب اقتصادية، أو أسباب جنسية، وقد خرج علينا شيخ وقد غدوا كلهم طرفاء، من أثر عادل إمام عليهم، يقول: زوجوا كل لاعب أربع زوجات، وستروننا نشرب في كأس العالم شيئًا ثقيلًا في "الخمسينة". والجملة الأخيرة من عندي.

ملعب كرة القدم هو ملعب الغرب، والقصة قصعتهم، أما القدم فليس لنا سابقة فيه، ولا قدم صدق في الملاعب إلا قبل نصف قرن، وهو زمن قصير ٭ فنحن أبناء حضارة نص ولم نعد نقرأ، ولا نكتب، كل الكتاب الذين أعرفهم باتوا يكتبون بالعامية في وسائل التواصل، وهي مرهقة، وقطرية، يا مالك الحزين.

الملعب ملعب الغرب والكرة كرتهم، إنما نحن ضيوف، والجماهير جمهورهم ٭ قد نفوز مرة، كما فازت الجزائر على ألمانيا سنة 1982، بمصادفات وحظوظ وثورات كروية، والكرة مادة بين مواد المنهاج التي أهملناها: الفيزياء، والعلوم، والجبر، والفلك، وعلوم اللغة، والترجمة ٭ تعالوا إلى الغرب، حيث سبقونا إلى العلياء (فالسند)، بعلوم القافيين: القافية والقدم، فغزوا الفضاء، حتى إنهم يتجسسون علينا ويعرفون ما توسوس به نفوسنا، فهم يملكون كل وسائل التواصل الاجتماعي التي نثرث فيها بآمالنا وأحلامنا عن طيب خاطر.

الفرنجية هم مبتدعو اللعبة، هم أصحاب الحلبات، فهم أخلاف أسلافهم الرومان والإغريق ٭ القدم عندهم قبل القلب والرأس، القدم ليست عضوًا زائدًا أو مهملاً، حتى ليظنّ الظان أنّ القدم هي أهم عضو في جسم الغربي، وقد ارتضى سراتهم وأشرافهم وأولو النهى فيهم أن تكون أثينا هي قريش الغرب، فجعلوا روح أخيل في الأسطورة الإغريقية في قدمه، وليس في قلبه أو رأسه، فكان كعبه المكان الوحيد في جسمه الذي لم يغمره ماء نهر ستيكس المقدس.

نجد في الأساطير اليونانية أيضًا ماراتون، وهي بلدة يونانية عدا إليها فيديبيدس مسافة أربعين كيلومترًا لإبلاغهم بالنصر على الفرس، فصار سباقًا دوليًا فيما بعد ٭ ونصل إلى العصور الحديثة، فنجد عقوبة قطع أصابع أقدام محاولي الهرب، من المستعبدین الأفارقة.

الهرب ممنوع، ازحفوا مثل الزواحف في الحقول الغربية وقطف القطن ٭ لقد زحف نصف الشعب السوري على بطنه باتجاه الشمال لقطف القطن.

يمكن أن نذكر قدم أوديب، الذي عُرف بالرائد أو العارف، وتنسب إلى أوديبوس أشهر عقدة نفسية، حتى أن فرويد بنى عليها نظريته في شخصية الغربي النفسية، بل إنهم يشخّصون العالم بتلك الآلة النفسية التي تسمى عقدة أوديب ٭ وما أكثر اللوحات التي رسمت النعال، أشهرها لوحة الفنان الألماني فان غوخ "حذاء فلاح"، التي بنت عليها الفلسفة التأملية عند هايدغر، في كتابه "أصل العمل الفني"، ثم صنع الغرب جائزة اسمها جائزة الحذاء الذهبي بعد انتشار ديانة كرة القدم، وهي تمنح في كل سنة لأسبق هدف أوروبي.

نحن في ملعب الغرب، وقد دُعي مالك الحزين إلى وليمة أعشاب الملعب، فهزمتنا تلك الهزائم المنكرة، بنصف دزينة من الأهداف لكل فريق عربي ٭ سنذكر جملة نهاد قلعي الطريفة في "صح النوم": إذا أردنا أن نعرف ماذا في الملعب، يجب أن نعرف ماذا في القصر، أو "إذا أردنا معرفة القدم فيجب أن نعرف ماذا في الرأس"، أما إذا أردنا أن نحكي حكاية الثعلب ومالك الحزين مرة ثانية فسنقول: أكل الثعلب مالك الحزين.

الحلبة حلبتهم، والرأس عندنا قزعة؛ كل اللاعبين العرب والمسلمين قزع ٭ وليس عندنا أحزاب سياسية، كيف تنهض فرقنا الرياضية والجمعيات الخيرية عندنا ممنوعة يا مالك الحزين!

القزعة ظلم، والقزعة إيثار لقمة الرأس بكسوة الشعر، وامتهان لمحيطه بالحلل والتعرية والتعريض للشمس والريح.

لقد دعا الثعلب الغربي مالك الحزين العربي إلى الطعام في صحفته الخضراء، فرجع الحزين حزينًا وجائعًا.

بصراحة: أكله الثعلب ٭